ثالثا: الدور الحضاري الذي قام به الاسلام في تلك الاقاليم :

من هذه المصادر السالفة الذكر انبعثت حضارة إسلامية تمثلت فيها القيم والمثل العليا وكانت بحق مناراً احتذت به شعوب العالم وما زالت حتى يومنا الحاضر . فالمدقق في هذا الموضوع يدرك أن الحضارة الإسلامية التقت بالتقاليد المختلفة في الأقاليم التي انضوت تحت لواء الإسلام وصارعتها ، فقضت على ما يخالف الدين الإسلامي منها ، واختلطت بالتقاليد الأخرى فعدلتها حتى تتمشى مع الفكر الإسلامي ، وأعطى الإسلام في تشريعاته هذه الفرصة للوفاق والامتزاج الحضاري .

وكان انتشار الحضارة الإسلامية سهلاً يسيراً كانتشار الدين نفسه ، فالمسلمون لم يبذلوا جهوداً كبيرة في نشر دينهم أو نشر حضارتهم ، وكان دورهم في ذلك أن قدموا الدين لطالبيه ، وعلموا الناس سلوك هذا الدين ونظمه ، وهذا يختلف اختلافاً كبيراً عن نشر المسيحية التي كانت تحمل الناس على اعتناقها بمختلف الأساليب . بينما الإسلام كفل لأصحاب الديانات الأخرى الحرية ، بل سوّى بينهم وبين المسلمين في الحقوق والواجبات .

وقد شملت الحضارة الإسلامية النواحي النظرية والنواحي العمرانية ، فعرّفت الشعوب قاعدة الشورى في الحكم ، ونظام البيعة الذي مارسه المسلمون منذ خلافة أبي بكر الصديق ، كما أوضحنا في الفصل الثاني . وعرّفت الشعوب في الاقتصاد حق الفقير من مال الغني ، ونظام بيت المال ، ورد الأمانات إلى أهلها ، كما عرّفوا في الآداب الدينية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتزموا بترك المحرمات وأداء الصلوات وعرفوا في الآداب الاجتماعية اللباس الفضفاض والعمامة والقلنسوة ، واهتموا بالنظافة إهتماماً

كبيراً ، والتزموا بمراسم الوفاء ، وحصلت المرأة على العديد من الحقوق الجديدة فعلا شأنها وشاركت في الحياة العامة .

٨- وكان ميدان العمارة والإنشاء من الميادين الأخرى الهامة التي ترك فيها المسلمون بصماتهم واضحة جلية . فخلّفوا في حواضر الإسلام الكبرى في مشرقه ومغربه على السواء كطشقند وبخارى وسمرقند وفرغانة وهراة وغزنة ونيسابور والرّي وشيراز وبغداد والموصل وسامراء والبصرة والكوفة ودمشق وحلب والقدس والفسطاط والقاهرة والقيروان وتونس وتاهرت وفاس ومراكش والرباط وقرطبة وإشبيلية وغرناطة وفي غيرها من المناطق التي دخلها الإسلام وعاش فيها المسلمون كجزيرة صقلية وجنوب فرنسا وايطاليا في هذه البلاد وتلك المدن خلف المسلمون العديد من المباني والعمائر كالمساجد والمدارس والكتاتيب والأضرحة والقصور والحمامات والخنقاوات[1] والوكالات والفنادق والأسبلة والقلاع والحصون والأربطة وغير ذلك من المنشآت الدينية والإجتماعية والحربية والاقتصادية التي ما يزال الكثير منها قائماً ومحتفظاً بتخطيطه وهندسته وعناصره الأولى كشاهد صدق ودليل حي على ما وصلت إليه العمارة الإسلامية وفنونها من تطور وتقدم وازدهار ، وفي نفس الوقت على ما بلغته حياة المسلمين من ثراء وترف وبذخ ونعمة[2] .

رابعا : خصائص الحضارة العربية الاسلامية :

١ - الحضارة العربية الإسلامية حضارة انسانية :

ونعني بكونها حضارة انسانية أنها حضارة ملائمة لفطرة الانسان وخصائصه المتعددة التي ينفرد بها دون سائر المخلوقات ، ومسايرة لتطلعاته

(١) الخنقاوات هي عبارة عن دور لرعاية المسنين من الرجال والنساء .
(٢) محمد توفيق بليع وآخرون ، الخلافة والفتوح الإسلامية ، الطبعة الأولى ، الكويت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، ص ١٩٧ - ٢٠٠ .

ونشاطاته السوية وقادرة على تلبية حاجاته لأنها اعطتنا في جملة ما أعطت اكمل تصور للانسان باعتباره كائناً بشرياً خلقه الله تعالى واستخلفه في هذه الأرض من أجل غايات سامية وأهداف نبيلة .

والانسان في نظر الإسلام كائن حي خلقه الله تعالى على نحو خاص يختلف عن باقي المخلوقات وتبعاً لهذا التفضيل وهذه المنزلة الخاصة التي انفرد بها الانسان فإن الله تعالى قد اختاره من بين المخلوقات جميعاً ليكون خليفة الله في الأرض ، لأن لدى الانسان الطاقة العقلية والنفسية والحسية التي تجعله قادراً على الافادة مما خلقه الله في السموات والأرض ، فالانسان تؤهل بأصل خلقته لتحمل أمانة التكليف الإلهي ، فالتكليف والمسؤولية المترتبة عليه أمران موافقان لفطرة الانسان مسايران لما خصه الله به من قدرات لازمان لاستقامة سيرته في الحياة الدنيا وتحقيق سعادته فيها وعن طريق استجابة الانسان السوية لهما يكون جزاؤه في الحياة الآخرة نعيماً مقيماً .

وكان من تمام رحمة الله وبالغ حكمته أنه لم يترك الانسان في هذه الحياة الدنيا يسير على غير هدى إذ أرسل إليه الرسل الذين يحملون وحي الله وهديه وتشريعاته ، قال تعالى : ﴿ رُسُلاً مبشرينَ ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حُجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾(١)

فلم يكن الأمر مقصوراً على مجرد الفطرة الانسانية أو تسخير المخلوقات الأخرى لمصلحة الانسان وإنما امتدت رحمته تعالى ومشيئته لترشيد الانسان إلى ما يصحح مسيرته في الحياة الدنيا وما يفسر له كل ما يعجز عن تفسيره من أمور هذه الحياة ، واستمر ذلك الوحي الإلهي إلى أن تم واكتمل برسالة الاسلام ورسوله . ومع التسليم بما سبق يتضح لنا جانب مهم آخر هو وجدة المصدر في الخلق وفي الهداية ، فالانسان مخلوق بقدرة الله تعالى وعلمه وحكمته والله تعالى هو الذي أوحى إليه بمعطيات الحضارة الاسلامية ومن هنا يبدو التوافق الكبير بين الانسان باعتباره مخلوقاً مفطوراً على

(١) النساء : ١٦٥ .